الاسد وفرنجية : تحالف وثيق من اجل مهمة قذرة

هكام دمشق طالبوا من جبهة الكفور تصعيد موقفها سياسيا وعسكريا لدعم استمرار التدخل السوري

اذا كان لبنان بلد « الحل الوسط » الشهير ، فقد كانت حصيلة الايام الماضية ، وقد غلبت فيها اللقاءات والمفاوضات والاتفاقات المعلنة وغير المعلنة ، نموذجا لحل « غير وسط » وانما حل يكرس اهداف النظام السوري ، ويعلن وقف اطلاق النار ولا يضع حدا لاراقة الدماء ، ويسحب القوات السورية ويدخل قوات سورية جديدة ، ويهدىء جبهة تضايق الخصم ليفتح بدلا منها جبهات اكثر خطورة ... وهكذا : بدلا من ان تكون هزيمة قوات الغزو ، وصعوبات نظام الاسد داخل سوريا ، والضغوط العربية المتزايدة مؤشرا لتحسن الحالة في لبنان ، فان بداية الانسحاب السوري (الذي لم يتم) كانت مؤشرا لتصعيد انعزالي واسع ضد مخيمي تل الزعتر وجسر الباشا ومنطقة النبعة وعلامة على ان « درب الالام » مؤهل للمزيد من التعبيد والتمهيد والاطالة .

وفي حين كان الرائد جلود يسعى لتنفيذ اتفاقه مع دمشق ، ولاقناع المقاومة والحركة الوطنية بهذا الاتفاق ، كانت تتجمع في الافق الدولي علامات منذرة . فقد اجلت الولايات المتحدة الرعايا الاجانب من لبنان في عملية عرض عضلات واضحة كان قد سبقها اعلان فورد ان الايام القبلة سوف « تفسر » سبب اجلاء الرعايا بهذه السرعة . واعقبه هنري كيسنجر الذي اكد ان الولايات المتحدة لا تعارض ارسال قوات فرنسية الى لبنان ، واتفاق الولايات المتحدة مع سوريا رغم « تحفظه » على نتائج التدخل السوري ! وفي هذه الاثناء كان دين براون يدلي امام الكونغرس الاميركي بشهادة جاء فيها : « ان المؤسسات اللبنانية دمرت الى الابد على الارجح، وامل لبنان الوحيد بات في تسوية شاملة في الشرق الاوسط » .

قلق الجبهة الفاشية

والواقع ان دلائل التدهور الدولية هذه ، وجدت صداها في جملة من التحركات الداخلية . كان اول هذه التحركات تعيين كبير شمعون وزيرا للخارجية ونائبا لرئيس الحكومة ، والرجل ، كما هو معروف ، كان مسؤولا عن توجيه الدعوة للاسطول الاميركي السادس لاحتلال لبنان في عام ١٩٥٨ ، وهو يمثل ضمن جبهة الكفور الطرف الاشد التزاما بالدور الاميركي المباشر . ولهذا كان تعيينه اعلانا مبطنا عن انزعاج اليمين اللبناني من فشل الغزو السوري في تحقيق اهدافه ، وتلويحا بالاستعانة باطراف دولية ، وتسهيلا لاستمرار سوريا في تنفيذ المخطط المرسوم لها . وكان شمعون نفسه معبرا حين اعرب عن « امله » في ان يبقى التحالف مع سوريا قائما !

ولكن الضجة الواسعة التي اثارها اليمين اللبناني لم تحل دون تلقيه ضمانات سورية (وعربية) متعددة . وكانت تصريحات بيار الجميل ، في الايام المنصرمة ، تحمل تلويحا صريحا بتقسيم لبنان نهائيا ، في حين دفع اليمين اللبناني تنظيم « حراس الارز » الصغير الى اعلان ان « اللبنانيين » قد يطلبون العون الاسرائيلي » .

بالمقابل ، كان فرنجية وشمعون يستقبلان الخولي ، مبعوث حافظ الاسد ، الذي نقل اليهما تطمينات « اثارت ارتياحهما » . وحسب مصادر الكفور فان الخولي ابلغ فرنجية ان القوات السورية سوف تنسحب من المواقع الساحلية فقط ، غير انها « ستبقى حاضرة لدرء اي خطر قد يتعرض له الرئيس فرنجية او نظام الحكم الذي يمثل » . بل ان الخولي اكد ان الانسحاب الساحلي لن يكون تاما طالما ان « نسبة كبيرة » من قوى لامن العربية ستكون سورية . ونقل الخولي الى فرنجية ان احد اهداف المبادرة العربية تعزيز المبادرة السورية .

وعلى صعيد ابعد نقل الخولي الى فرنجية ان فرنسا سوف تحاول اقامة « تفاهم مصري - سوري » يخفف الضغوطات العربية عن سوريا ، وان الاسد ابلغ ديستان ان سوريا لا تعارض ارسال قوات فرنسية غير انها تتخوف من ان « تضر » هذه القوات بالمبادرة السورية و « تعطلها » ! وبالطبع تأتي معلومات الخولي هذه عقب اعلان السادات (من طهران) عن ترحيبه بارسال قوات فرنسية الى لبنان .

تنسيق بين دمشق والكفور

وقد دعا مبعوث النظام السوري جبهة الكفور الى مزيد من التصلب السياسي . فقد اعلن بيار الجميل انه « اذا لم يكن دخول قوة الامن العربية بالروحية نفسها التي رافقت التدخل السوري والمبادرة السورية عموما ، فسيظل من دون معنى وقد يصبح اضطراب بدل ان يكون عامل تهدئة وسلام » . وجاء بيان جبهة الكفور الصادر لمناسبة مؤتمر الرياض ليحمل مسؤولية الحرب « للتحالف الفلسطيني - الشيوعي » وليلوح بطلب التدخل الاجنبي .

ومن الواضح ان اليمين اللبناني يسعى لدعم الموقف السوري « عربيا » ، ولتكييف الموقف العربي (وقوات الامن العربية) « سوريا » . وقد ترافقت اشارات صحف دمشق واذاعاتها الى ضرورة « سحب المسلحين » و منع المظاهر المسلحة » و « فتح الطرق » مع اخبار سربتها جبهة الكفور حول ضرورة « ان تقدر المقاومة ان استراتيجية بقائها العسكري هي استراتيجية خاطئة والاكتفاء ببقائها السياسي » (« النهار » ١٩ حزيران » . ويطالب اليمين اللبناني بانسحاب قوات المقاومة من مناطق الجبل دون شروط كمقدمة لاي تفاهم .

وكان الهجوم ، المستمر حتى الان ، على مخيمي تل الزعتر وجسر الباشا وحي النبعة الشعبي تتويجا سافرا لذلك التصعيد السياسي . ويشارك في الهجوم على المخيمين المحاصرين منذ اشهر ٤٠٠٠ مسلح يمينيي بعضهم حشدوا من عكار وزغرتا ومن بقايا الجيش النظامي ، وحوالي ١٠٠ آلية وعشرات بطاريات المدفعية والصواريخ، وعدا المخاطر الهائلة التي يشكلها الهجوم على حياة الوف الفلسطينيين واللبنانيين المحاصرين ، فانه واضح الدلالة من حيث تركيزه على قضية الوجودة الفلسطيني في لبنان باعتبارها القضية الاولى من زاوية اليمين .

واجبات القوى الوطنية

« اعلان حرب » اميركي (ترافق مع رسالة كيسنجر الى أبو اللطف) ، وتأييد مصري وسوري واميركي لارسال قوات فرنسية الى لبنان، وتصاريح من جانب نظام حافظ الاسد في مواصلة مهمته القذرة ، وتصعيد عسكري وسياسي على صعيد اليمين اللبناني :

مقابل هذ «الجبهة المحلية - العربية - الدولية التي تواصل حربها القذرة ضد شعبي لبنان وفلسطين ، فان القوى الوطنية اللبنانية - الفلسطينية - العربية التي تقف في المعسكر المقابل تفتقر الى الكثير من الصفات التي لا بد منها اذا كان المطلوب حسم المعركة لغير صالح الرجعية . وبمواجهة التنسيق الدقيق بين اطراف المؤامرة المحليين والدوليين ، برزت في الصف الوطني اكثر من علامة « تفاوت » في المواقف تجاه القضايا المطروحة . وهكذا ظلت مسالة المواجهة العسكرية للوجود العسكري السوري (بعد توقف الاشتباكات الواسعة) دون جواب مما اعطى النظام العميل في دمشق فرصة واسعة لاعادة ترتيب اوضاعه . ويأتي الاتفاق الاخير ليكرس « تحول » القوات السورية الى قوات عربية وليكرس شرعية احتلالها لعكار والبقاع وضهر البيدر .

ويصح التقييم نفسه بالنسبة لمجابهة القوى الانعزالية . لقد تدخلت قوات حافظ الاسد لتحول دون الحسم الذي لوحت به بعض الاطراف الوطنية في حينه . فهل تقرر الحركة الوطنية والمقاومة متابعة الحسم في الظروف الحالية ، ام هل « تنسى » هذه القوى هدف الحسم مع الانعزاليين (الذي لا تكمن صعوبته في الامكانات العسكرية) في زحمة الاحداث ؟

والاهم : ما هو مغزى تركيز بعض القوى الوطنية والفلسطينية على ضرورة الاستعادة من دعم الانظمة العربية - بما فيها نظام السادات نفسه ؟ فهل تتصور قيادات هذه القوى ان مصر (والسعودية ؟) ستخرجان عن الخطة الاميركية التي تنفذ سوريا بعضا منها ؟ وهل يكون التناقض السوري - المصري الجزئي لصالح المقاومة والحركة الوطنية في لبنان - على الاقل في المدى البعيد ؟

وبعد ذلك كله ، فما الذي يحول دون استخدام الطاقات العسكرية والمادية والبشرية الهائلة المتوفرة للجانب الوطني في الصراع ؟ وما الذي يحول دون استخدام الصلابة المعنوية التي تمتاز بها جماهير لبنان وفلسطين لكسر حلقات المؤامرة بدلا من « دغدغتها » ؟ ان الجواب ، بالتأكيد ، ليس تقنيا ولا حتى عسكريا . ان القضية سياسية واستراتيجية . والمطلوب اجابة سياسية تقوم على الخروج النهائي من اطار استراتيجية الخصم مع الادراك الكامل لنتائج هذا الخروج سواء على صعيد عداء الانظمة او صعيد الامكانات الثورية التي سيفجرها مثل هذا الموقف . والمطلوب اولا واخيرا ان نتذكر ان «هدف كل حرب هو الحسم » ، وان الطريقة المثلى للدفاع هي الهجوم .

اصحاب المعالي .. اعضاء اللجنة التنفيذية .. اين هم ؟

لقد تعودت جماهيرنا الفلسطينية منذ ان نهضت ثورتها واكتسبت مداها الثوري والسياسي الواسع ، ان ترى بعض النماذج من « الشخصيات » التي تسارع الى تصدر واجهات منظمة التحرير ايام الرخاء والبحبوحة، وتملأ الدنيا انذاك بتصريحاتها وصورها وتقييماتها وتنظيراتها ... ثم لا تلبث في اوقات الشدائد ان تنزوي في جحورها كالارانب فلا يسمع لها صوت ولا يصدر عنها اي حس .. اللهم الا بعض الهواء لصالح المتامرين على الثورة ..

وقصة الجماهير الفلسطينية عبر هذه الاشهر الطويلة من القتال ، مع عدد من اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير خير نموذج لهذه الظاهرة التسللية ...

فاين هي هذه اللجنة .. واين هي غالبية اعضائها ؟ اين عبد المحسن ابو ميزر وخالد الفاهوم ، على سبيل المثال ؟

الاول يقيم في جنيف منذ فترة طويلة - يبدو انه كان ينتظر نجاح المؤامرة - وبالتالي انعقاد مؤتمر جنيف على جثث الثوار ، فسارع الى هناك انتظارا لذلك المؤتمر السيء الصيت -

والثاني قابع في دمشق ، وفي احضان حكامها المتامرين ، دون ان يرف له جفن تجاه غزو القوات السورية للبنان وزحف تلك القوات بهدف سحق المقاومة الفلسطينية وجماهيرها ... لا بل اكثر من ذلك ، يجعل من منصبه الرسمي غطاء ذليلا للمتامرين حيث يصرح لوكالة الانباء السورية نافيا ان تقدم القوات السورية ، قوات حافظ ورفعت وشركاهم ، على ضرب المقاومة .

فالى متى ستظل هذه الظاهرة قائمة بين ثنايا هذه الثورة ، تتسلق عليها في ايام العز ، ثم تنصرف عنها او تتامر عليها في ايام الشدائد ؟

انه لم يعد مقبولا تجاهل حقيقة ان الثورة لا يقودها غير الثوار الذين تمتحنهم المعارك ، ولم يعد مقبولا ان تعود تلك النماذج التي تفاخر بانها مستقلة « مستقلة عمن ؟ عن الثورة » للتربع على العرش فوق جثث وجماجم الشهداء من المقاتلين والجماهير .

« الثورة مستمرة »